لدى تكريمها في ندوة «العربي»، وبعد 22 عاماً على توقفها.. مثقفون بحرينيون:

كتابات.. إشارة لذلك العصر الثقافي

رؤى- المحرر الثقافي:

كرّمت مجلة العربي الكويتية في ندوتها التي عقدتها الأسبوع الماضي تحت عنوان «المجلات الثقافية ودورها في الإصلاح الثقافي» عدداً من المجلات والدوريات العربية التي كان لها الدور الكبير في بناء الثقافة العربية الوطنية خلال القرن العشرين، من بينها مجلة الآداب اللبنانية، والهلال المصرية، والموقف الأدبي السورية، وعالم الفكر الكويتية، والعرب السعودية، وكتابات البحرينية.

ويأتي تكريم كتابات بعد 22 عاماً على توقفها، ليعيد للكتاب والمثقفين البحرينيين ذكريات اللمسة الأولى والقراءة الأولى، والكتابة الأولى لهذه المجلة التي أسّست لكثير من المفاهيم الحديثة في البحرين، ومنها مفهوم المجلة الدورية المتخصصة، حيث كانت هي السبّاقة في هذا المجال.

حول هذه اللمسة الأولى.. تحدثنا لعدد من الكتاب والمثقفين البحرينيين ليحدثونا عن تجربتهم مع كتابات، فكان هذا الإستطلاع:

يقول الفنان التشكيلي عباس يوسف: «عاصرت مجلة كتابات قبل أن أدخل في الغمار الفني، وقد كنتُ أذهب لأسرة الأدباء والكتاب، لمتابعة بعض الفعاليات الثقافية وأخذ بعض الكتب التي تتواجد في الأسرة، ومن بينها مجلة «كتابات» وقد كنا شغوفين جداً بكل النتاج الأدبي والثقافي لهذه المجلة، وبكل الأسماء البحرينية التي تنشر فيها من أمثال علوي الهاشمي وخلف أحمد خلف وعلي الشرقاوي وقاسم حداد، وبالطبع القائمين عليها علي عبدالله خليفة وعبدالقادر عقيل».

ويضيف يوسف: «كان لوقت ظهور هذه المجلة في فترة المدّ الثقافي والسياسي والثوري أثر كبير علينا في تلقّيها فقد كنا مفعمين بحب الإطلاع والبحث والمتابعة لكل الأحداث الثقافية والسياسية وغيرها، ولدى دخولي الجامعة أصبحنا أكثر شغفاً وحباً لمتابعة هذه المجلة، حيث أنني أرى أنه لا مناص للفنان من التواصل مع ذاته ومع ثقافته».

وحول أهمية الإصدار البحريني في ذلك الوقت يقول يوسف: «في ذلك الوقت كانت مجلات مثل الدوحة القطرية والعربي الكويتية وأقلام العراقية تأخذ مداها الثقافي بيننا، فقد كنا نلحظ من خلال هذه المجلات المدى الذي حققه الكاتب والمثقف البحريني من سمعة خارجية، كان يجب أن تستمر وتتواصل عبر إشراك المتلقي في الداخل أيضاً، ولذلك فقد كان وقت صدور هذه المجلة مناسباً ليطلّع البحريني على المستوى الثقافي والكتابي للكاتب البحريني، وليطلّع على التجربة الحديثة والحداثية في البحرين».

ويؤكد: «عبر هذه التجربة الحديثة والحداثية استطاع المتلقون في البحرين وأنا منهم التواصل مع بعض الأسماء العربية الحديثة من أمثال أنسي الحاج وأدونيس وغيرهم».

فريد رمضان: هذه المجلة.. ساهمت في تطوّر تجربتي

وكان للكاتب والروائي والسينمائي فريد رمضان أن يسرد علينا بعضاً من ذكرياته مع هذه المجلة فيقول: «ظهرت هذه المجلة مع بوادر ظهور الحركة الأدبية في البحرين، وبروز الأصوات الشعرية والقصصية الحديث، والتي وجدت متنفساً كبيراً من خلال مجلة كتابات التي فتحت خطاً مباشراً مع حركة التجديد الثقافي العربي، حيث أن الكثير من الأسماء نشرت كتاباتها عبر هذه المجلة، وظهرت أسمائها عبرها».

يطرق رمضان ويسترجع ذاكرته، ويضيف: «أتذكر الآن.. وقتها كنتُ أزور مكتب هذه المجلة الذي يقع مقابل نادي النسور، وأتذكر أني كنتُ أقصد الأستاذ عبد القادر عقيل الذي كان وقتها سكرتير التحرير فيها وكنتُ أعرض عليه تجاربي القصصية، وأتذكّر تلك الشقة الصغيرة التي منها بدأت في نشر كتاباتي في هذه المجلة، ولحسن حظي أن توفّرت لي الفرصة في معاصرة هذه المجلة التي ساهمت كثيراً في تطوير تجربتي، ومازلت للآن أحتفظ بمعظم أعدادها».

وحول أهمية المجلة يؤكد على أن: «هذه المجلة تشكّل علامة فارقة على مستوى الوطن العربي في فترة بداية السبعينات في البحرين ومن مراحل القراءة أيضاً، إذ صار يوسع الكاتب والمثقف البحريني أن يرى النتاج الثقافي البحريني، وأن يلاحظه».

عن الطابع المتخصص للمجلة يقول خلف: «إن الطابع الثقافي الخاص للمجلة أعطاها نكهة مختلفة في نفس الكاتب البحريني إذ صار بالإمكان نشر دراسات بحرينية كاملة على صدر مجلة بحرينية. بدلاً من أن يلحظ الكاتب البحريني تتاحه إما على الكتب المتفصلة أو على صفحات الجرائد والمجلات اليومية أو الأسبوعية».

أحمد العجمي: كتابات دشنت عصر المجلات المتخصصة

أحمد العجمي من الشعراء الذين ظهروا في الثمانينات، أي أنه لم يعايش تجربة كتابات، غير أنه بهذه الشهادة يسجّل نقطة في فهم ما يسميه القيمة التاريخية للمجلة فيقول: «لم يكن تلقيّ لهذه المجلة بالتلقي المباشر أو التلقي الأول، وحتى في أعدادها الأخيرة لم أتلقّ هذه المجلة بشكل مباشر بل تلقيتها كقارئ لقيمة تاريخية، حيث أن هذه المجلة بقيت وسوف تبقى من المجلات المهمة التي أتاحت الفرصة لكثير من الأسماء والتجارب البحرينية من أجل إبراز الطاقات والتجارب الإبداعية الجديدة في البحرين آنذاك».

ويضيف: «لقد دشنت هذه المجلة الأدبية بداية عصر المجلات الثقافية المتخصصة والمحترفة، وبهذا فقد احتفظت هذه المجلة وستظل تحتفظ بقيمتها سواء الذاتية عبر المواد التي نشرت فيها، والقيمة الأدبية لهذه المواد أو القيمة التاريخية عبر تأسيسها لعصر المجلات الأدبية والثقافية في البحرين وتشكيلها للتراكم الأول للمجلات الثقافية التي تلتها».

ويؤكد: «بذلك.. فقد كان من المهم في تلك الفترة أن تنشر وتقيّم الأعمال الأدبية في مجلة ثقافية دورية بها خاصية الاحتفاظ بالمادة الأدبية، خلافاً للصحف والجرائد التي لا تحظى بهذه الخاصية».

خصوصاً وأنها قد قدمت نفسها كدورية إبداعية متحازة للأدب الحديث».

خلف أحمد خلف: كان ظهورها مؤشراً على مستوى التطورالثقافي

وقد كان القاص والكاتب المسرحي خلف أحمد خلف أيضاً من الكتاب الذين نشروا في هذه المجلة، فيؤكد في حديثه لنا: «كانت هذه المجلة هي الفرصة الأولى التي تفتح لنا مجالاً ككتاب بحرينيين لإثبات قدراتنا، وهي من الفرص القليلة والنادرة على المستوى المحلي، فقد كانت متنفساً كبيراً لنا، فالكاتب البحريني كان ينشر أعماله سابقاً في الصحف المحلية اليومية أو الأسبوعية من أجل التواصل الداخلي، وفي الدوريات والصحف الخارجية من أجل التواصل مع العالم العربي».

وحول المرحلة التي صدرت فيها كتابات يتحدث خلف: «كان صدور هذه المجلة مؤشراً على مستوى التطوّر الثقافي الحاصل في البحرين، وبذلك فقد شكّلت «كتابات» مرحلة مهمة من مراحل الكتابة

علي خليفة.. رائد تجربة الشعر الجديد

يجمع الأدباء الشباب في البحرين على أن علي عبد الله خليفة كان الرائد المحلي في تجربة الشعر الجديد، أو على الأقل كانت تجربته بداية الادراكات الواعية في الشعر حين اتجه الى اسقاط قضية البحار التي كانت تعتبر قضية الغالبية العظمى من الناس في الخليج على واقع الانسان المعاصر.. التعريف ص 9.

يعني أن تجربة علي عبدالله تتجلى أولا في أن الشاعر جعل من القضية الاكثر محلية، والتصاقا بحياة الناس، وبالتالي من أكثر القضايا التي عاناها هذا الانسان العربي في البحرين، قضية شعره الأولى، مركزاً على طابع الصراع والاستلاب والعذاب والجوع هو الذي يطبع حياتهم:

زادنا تمر نخيلات عجاف
عاث فيها الدود وطرا .. ثم عاف
بعد ارز قدره قدر الكفاف ص 45

حقا أن هناك لغة في ديوان علي الأول (أنين الصواري) لم يألفها الشعر التقليدي، وأن فيه أداء لم يألفه السلفيون، وأن فيه تجارب يجسدها شعراء التيارات التقليدية على اختلاف أنواعها، كما جسدها علي عبدالله في شعره، ولكن شعر علي في هذا الديوان، يظل يفتقر إلى (اللغة الجديدة) وإلى امتزاج المضمون بالنسيج بحيث يصبحان كياناً واحداً لا يمكن فصل بعض أجزائه عن بعض، ذلك أننا في قصائد هذا الديوان، نجد ضعفاً في التركيب اللغوي للشطر أو للجملة، وانقياداً للقافية وعبارات تنتمي إلى الرومانسية الخالصة حيث الدلالة تضعف أو تكاد تنعدم:

يا أصدقائي الطيبين،
الفجر ما طل على قعر انزواء
ولهاث الأرض يدري كم قبور في اوال
أواه، يا فجر بلادي..
يا حنين النبع .. يا ماء الزلزال ص 98

أو قوله في هذا البناء التقليدي والفكر التقليدي نحو المرأة:

كفكف الدمع ولا ترض بحال
أن تكون امرأة بين الرجال
يا بني الموت حق، والزوال
نازل بالكل – إن شاء الاله، ص 23

هذه اللغة والمنحى في التعبير، وتشكيل الأبيات وتركيب الجمل، لا ينتمي إلى المرحلة الشعرية الجديدة بقدر ما ينتمي إلى مرحلة الخمسينات في مرحلتها الباكرة.

كما أن رؤية الشاعر للأحداث، رؤية تغلب عليها البساطة والقشرية أو الأرشفة والتوثيق. فهو في قصيدة (الجرح الكبير) مثلا، كأني به يريد أن يجمع العالم في واحد – على تعبير أبي نواس. أو كأني به يريد للقصيدة أن تجمع العالم كله.

فهو يعبر عن تجاوبه مع جميع المقهورين في العالم. من البحرين الى فلسطين وفيتنام، فزنوج امريكا وضحايا التمييز العنصري ثم يزهق من تعداد المقهورين ويعجز عن الاحاطة بهم، فهم كثر. فيختصر ذلك بأنه مع الإنسان في شتى بقاع العالم (ص 28) وهذا ما أصاب قصيدته بالتفكك الموضوعي أولا، وفقدان حرارة التجربة، واوقعها في الوثائقية والتسطح في المعالجة ثانياً.

فهو لا يأخذ، مثلا، من حرب فيتنام سوى مسألة اليتم أو الترمل. فهذه امرأة تفقد طفلها، وتفقد أهلها في الحرب، فتصاب بالخبال، ولا نعرف لعذابها نهاية.

إن حرب فيتنام كانت أبشع من ذلك، كما أن مأساتها كانت أعمق من ذلك. وهذا الذي حصل للمرأة هذه ليس إلا مظهراً من مظاهر الحرب، وليس جوهرها الأصلي، الذي هو أنها حرب امبريالية، هدفها إذلال شعب واستنزافه أو إبادته حين تعجز عن تحقيق هدفها الأعمق.. فرؤيا الحرب والنسيج الشعري الذي تمثلت فيه، يذكرنا بكثير من الشعر الخمسيني الذي لم يزد عن تمثل مظاهر الحرب لا الغوص في أعماقها مثل كثير من الشعر الذي كتب في ثورة الجزائر، والثورات والحركات التحررية في أفريقيا كقصائد البياتي عن (الفيت مين) و (والماو ماو) حيث نجد الشاعر أسير الإيقاع الخارجي للشعر: القوافي والأوزان والأشطار المزهوة بنفسها! وحيث الهلهلة في النسيج.

ضراد الكبيسي

ناقد وأكاديمي من العراق